﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التّوبة: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الأمـــر بـــتَرْك مـــــوالاةِ غـيرِ الله، والتَّنديد بمَن آثَر القرابةَ والمتاعَ، على حُبِّ الله ورسوله

لـمَّا توعَّد اللهُ سبحانَه مَن وضَعَ المَوَلاةَ في غَيْرِ مَوْضِعِها، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وكانتِ النُّفوسُ مختلفَةَ الهِمَمِ، متباينَةَ الشِّيَمِ، ليسَتْ في الانقيادِ إلى الشَّرْعِ على طريقَةٍ واحدَةٍ، وكان ذلك التَّهديدُ قد لا يَرْدَعُ أصنافًا مِنَ النَّاسِ؛ أتبَعَهُ بتهديدٍ أبلَغَ مِنْهُ وأشَدَّ، فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1]، "فهدَّدهم بأن يتربَّصوا أمرَ اللهِ فيهم، وينتظروا عقابَه ونَكَالَه بهم، واللهُ تعالى لا يهدي الفاسقين الخارجين عن طاعته سواءَ السَّبيل"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: (العَيْنُ والشِّينُ والرَّاءُ): تدورُ اشتقاقاتُها على أصْلَيْنِ؛ أحدهما: عَددٌ معلومٌ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه غيرُهُ مِنَ المعاني، والآخَرُ: المخالَطَةُ والمُداخَلَةُ[3]، ومنه: العِشْرَةُ، وهي المخالَطَةُ، ويُطْلَقُ العشيرُ على زَوْجِ المرأَةِ؛ لكونِهِ يُخالِطُها، ومَعْشَرُ الرَّجُلِ: أهْلُهُ، والمَعْشَرُ: الجماعَةُ والنَّفَرُ الذين تَجْمَعُهُم رابطَةٌ ما[4]،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/421.
(2) أسعد حومد، أيسر التَّفاسير، ص: 1260.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عشر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤَّصل: (عشر).

وعشيرةُ الرَّجلِ: بنو أبيه الأقربون، أو قبيلته وأهلُه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214][1]، وسُمِّيت عشيرةُ الرَّجلِ: لمعاشرة بعضِهم بعضًا[2]، والعَشيرَةُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، هُمُ الأَهْلُ الأَدْنَونَ؛ لكونهم يُعاشِرونَ المَرءَ[3].

2) ﴿ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: (القافُ والرَّاءُ والفاءُ): تدورُ اشتقاقاتُها على مخالَطَةِ الشَّيءِ وملابَسَتِه[4]، ومنه: مُقارفَةُ الخطيئَةِ، وهي مخالَطَتُها بالتَّلبُّسِ بها فِعْلًا[5]، ومنه: قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: 113]، أي: ليَعْمَلوا ما هُمْ عامِلونَ مِنَ الآثامِ والذُّنوبِ[6]، ومِن هذا المعنى: يَرِدُ الاقْتِرافُ بمعْنَى الاكْتِسابِ، وذلكَ لأنَّ مَن اكتسَبَ شيئًا كأنَّه لابَسَهُ وادَّرَعَهُ[7]، وهو المعنى المُرادُ في قول اللهِ تعالى: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾؛ فإنَّ المقصودَ: وأموالٌ اكتسَبْتُموها[8].

3) ﴿تَخْشَوْنَ﴾: (الخاءُ والشِّينُ والحرفُ المعتلُّ): تدلُّ تصريفاتُها على معنى الخَوْفِ والذُّعْرِ[9]، ومنه: الخشْيَةُ، وهي الخَوْفُ، وخَصَّ الرَّاغِبُ الخَشْيَةَ بالخوفِ المَشوبِ بالتَّعظيمِ، وأَكْثَرُ ما يَكونُ ذلك عَن عِلْمٍ بما يُخْشَى منه[10]، ويقال: هذا المكانُ أخشى مِن ذلك، أي: أشدُّ خوفًا، ومِنَ المجاز قولُهم: خشيتُ، بمعنى: علمت. قال الشَّاعر[11]:

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْهُدَى *** سَكَنَ الْجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

ومِن هذا المعنى: الخشيةُ الواردَةُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾؛ فإنَّ المرادَ: تَخافونَ إذا هاجَرْتُم عنها أن تَكْسُدَ ولا تَروجَ[12].

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: (عشر).
(2) الخليل، كتاب العين: (عشر).
(3) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 10/341.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قرف).
(5) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (قرف)، وابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر: (قرف).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (قرف).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قرف).
(8) السَّمعانيّ، تفسير القرآن: 2/297.
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خشي).
(10) الرَّاغب، المفردات: (خشي).
(11) البيت بلا نسبة، الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، ومجمل اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (خشي).
(12) الشَّنقيطيّ، العذب النَّمير: 5/361.

4) ﴿كَسَادَهَا﴾: (الكافُ والسِّينُ والدَّالُ): تدلُّ اشْتِقاقاتُها على الشَّيءِ الدُّونِ الذي لا يُرْغَبُ فيه[1]، والمعنى الجامعُ لِتَصاريفِ الكلِمَةِ: يدورُ حولَ جُمودِ الأشياءِ المُتَفَرِّقةِ الأَفْرادِ وتكدُّسِها، بحيثُ لا تَتَسَيَّبُ ولا تَنْصَرِفُ، ومنه: يُقالُ لِلْمَتاعِ الذي عُرِضَ للبيْعِ فَلَمْ يَنْفُقْ: كاسِدٌ[2]، والكسادُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾، يُرادُ به عدَمُ الرَّواجِ[3].

5) ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: (الرَّاءُ والباءُ والصَّادُ): تدلُّ اشتقاقاتُها على معنى الانتظارِ، ومنه: التَّربُّصُ[4]، وحقيقَتُهُ: الانتظارُ بالشَّيءِ؛ سلْعَةً كانَت يُرادُ بها الغَلاءُ أوِ الرُّخْصُ، أو أمْرًا يُنتظَرُ حصولُهُ أو زوالُهُ[5]، ومنه: قولُهُم: تَرَبَّصْتُ بالرَّجُلِ، بمعنى: انتظارِ خَيْرٍ أَو شَرٍّ يَحُلُّ بِهِ[6]، كقوله سبحانَه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: 25]، والتَّربُّصُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، يُرادُ بِهِ: الانتظارُ والتَّمهُّلُ.

6) ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: (القافُ والواوُ والميمُ): تدلُّ تصريفاتُها على معْنَيَيْنِ كُلِّيَّيْنِ؛ أحدهما: جماعةُ ناسٍ، والآخرُ: انتصابٌ أو عَزْمٌ[7]، والقَوْمُ عند جمعٍ مِن عُلَماءِ العربيَّةِ: اسْمٌ يشمَلُ الرِّجالَ والنِّساء[8]، وخَصَّهُ آخرونَ بالرِّجالِ؛ إِذْ لَفْظُ (القَوْم) في الأصل: مَصْدَرٌ وُصِفَ به، ثُمَّ غَلَبَ على الرِّجالِ دونَ النِّساء؛ لِكَوْنِهِم قوَّامينَ عليهِنَّ بالأمورِ التي ليس لَهُنَّ أن يَقُمْنَ بها[9]، ويُؤيِّدُ هذا: أنَّ لفظَ (القوم) يُقابَلُ بلفظ (النِّساء)، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: 11]، وفي قول زُهيرِ بن أبي سُلْمى[10]:

وَما أَدْري، وسَوْفَ إِخالُ أَدْري *** أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ؟!

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كسد).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (كسد).
(3) الجرجانيّ، دَرْج الدُّرر: 2/868.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ربص).
(5) الرَّاغب، المفردات: (ربص).
(6) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (ربص).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قوم).
(8) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (قوم).
(9) ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر: (قوم).
(10) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص: 17.

وإذا ذُكِرَ القومُ على جهةِ الانفرادِ دخل النِّساءُ فيهِ، ليس بِمُقْتَضَى الوَضْعِ، وإنَّما على سَبيل التَّبَع؛ كما في قول اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

7) ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: (الفاءُ والسِّينُ والقافُ): تدلُّ على خُروجٍ عن مُحيطٍ، كالْكِمام لِلثَّمَرَةِ، والجُحْرِ لِلْفَأْرَة[1]، ومنه أُطْلِقَ الفِسْقُ على الخُروجِ عَنِ الطَّاعة[2]، وتقول العربُ: فَسَقَت الرُّطَبَةُ؛ إذا خرجت مِنْ قِشْرِها[3]، والغالِبُ فيما يُستعْمَلُ فيهِ لفظُ الفاسقِ، إطلاقُهُ على مَنِ التزَمَ حُكْمَ الشَّرع وأقرَّ به، ثُمَّ خرَجَ عنه قليلًا كان خُروجُهُ أو كثيرًا، أمَّا الكافِرُ الأصليُّ فَيُقالُ عنه فاسقٌ باعتبارِ إخلالِهِ بما اقتضتْهُ الفِطْرَةُ ودلَّ عليه العقلُ[4]؛ لأنَّ هذَين هُما اللَّذانِ يَصِحُّ أن يُقال خرجَ عَنْهُما، أمَّا الشَّرْعُ فلم يدخُلْ فيهِ حتَّى يقالَ: إنَّه قد خرج عَنْهُ، اللَّهُمَّ إلَّا إذا أُريدَ بالخروجِ عَنِ الشَّرع ما أخذهُ اللهُ تعالى مِنَ الميثاقِ – على بني آدَمَ وهُمْ في صُلْبِ أَبيهِم – الواردِ في قول اللهِ سبحانَه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ﴾ [الأعراف: 172].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دعـــوةٌ إلـــى الهجرة، وعدمِ جَعْـل القـرابةِ ومـتـاعِ الـدُّنيـا أحـبَّ مِـنَ الله ورسوله ودينه

قُلْ يا أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ﷺ لِلْمُتَخَلِّفينَ عَنِ الهِجْرَةِ إلَى دارِ الإسْلام، المُقيمينَ بِدارِ الشِّرْك: إنْ كانَ مُقامُكُمْ مَعَ آبائِكُمْ وأَبْنائِكُمْ وإخْوانِكُمْ وأَزْواجِكُمْ وقرابَتِكُم، وكانَتِ الأمْوالُ التي اكْتَسَبْتُموها والتِّجارَةُ التي تخافونَ عدَمَ رواجِها، والبيوتُ الفارِهَةُ التي أقَمْتُمْ بها؛ أحَبَّ إلَيْكُمْ مِنَ الهِجْرَةِ إلى اللهِ تعالى ورَسولِهِ ﷺ، ومِنَ الجِهادِ في سَبيلِهِ؛ فانْتَظِروا حتَّى يَحُلَّ بِكُمْ

(1) المُناويّ، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، ص: 260.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فسق).
(3) الأنباريّ، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس: 1/120.
(4) الرَّاغب، مفردات ألفاظ غريب القرآن الكريم، ص: 636.

عقابُ اللّهِ تعالى وغضَبُهُ، واللّهُ سبحانَه لا يوفِّقُ لِلْخَيْرِ الخارِجينَ عن طاعَتِهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ قولِه: ﴿قُلْ إِن كَانَ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

وُجـوبُ تَحَمُّلِ مَضارِّ الدُّنْيا، مِنْ أَجْلِ سَلامَةِ الدِّينِ

فُصِلَ قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ عمَّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِهِ جوابًا عن سُؤالٍ، وذلك أنَّ اللّهَ سبحانَه لمَّا بيَّنَ وجوبَ البراءَةِ مِنْ أهلِ الكُفْرِ، ولو كانوا أقربَ الأقرباءِ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾؛ أورَثَ ذلكَ سؤالًا في نفوسِ جماعةٍ مِنَ المُسْلِمينَ، فقالوا: كيفَ تتأتَّى البراءَةُ منهم بالكلِّيَّةِ، وهذه البراءَةُ تقتَضي انقطاعَنا عن آبائنا وإخوانِنا وعشيرتِنا، وكسادَ تجارَتِنا، وخَرابَ ديارِنا؟ فبيَّنَ اللّهُ ﷻ في هذه الآيةِ، أنَّ الواجبَ تحمُّلُ جميعِ المضارِّ الدُّنيَويَّةِ مِنْ أجْلِ إبقاءِ الدِّينِ سالمًا، وذكَرَ ﷻ أنَّهُ إذا كانت رعايةُ المصالِحِ الدُّنيويَّةِ أَوْلَى عِنْدَكُم من طاعةِ اللّهِ سبحانَه وطاعةِ رسولِهِ ﷺ، ومِنَ الجهادِ في سبيلِ اللّهِ تعالى؛ فانتَظروا عقوبَةَ اللّهِ سبحانَه، إن عاجِلًا أو آجِلًا[2].

نُكْتَةُ تَنْويعِ الأُسْلوبِ:

الِانْتِقالُ مِنْ أُسْلوبِ الإِقْبالِ إلى مَقامِ الإِعْراضِ، مُشْعِرٌ بِالزَّجْرِ والتَّرْهيبِ

في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ الآية، تنويعٌ لِلْخِطابِ؛ وذلكَ أنَّ اللّهَ سبحانَه وجَّه الخطابَ أوَّلًا إلى المؤمنينَ، في قولِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾، ثُمَّ خاطبَ نبيَّهُ ﷺ آمِرًا إيَّاهُ أن يُخاطِبَهُم، فكانَ في هذا انتقالٌ مِنْ أُسلوبِ الإِقْبالِ، إلى مقامِ الإِعْراضِ المُشْعِرِ بزَواجِرِ الغَضَبِ[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/177، ونخبة مِنَ العلماء، التَّفسير الميسَّر، ص: 190.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/17.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/421.

دلالَةُ تَصْديرِ الخِطابِ بِـ ﴿قُلْ﴾:

أَهَمّيَّةُ الخِطابِ وتَقْريعُ المُخاطَبِ، بغرضِ التّخويفِ من العواقبِ

صُدِّر الخِطابُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ بـ ﴿قُلْ﴾؛ للإشارَةِ إلى أهمِّيَّتِهِ وغِلَظِهِ، ولإرادَةِ التَّوبيخِ بمضْمونِهِ[1]، وهو يقول له: قُلْ يا أكملَ الرُّسل للمؤمنين الذين يقصدون موالاةَ أنسابِهم، إن كانَ أولئكَ الأقربون، وتلكَ المحيزات الفاتنة، والمتاعُ الغُرُور، أحبَّ إليكم مِنَ اللّه وأَجْرِه، ومِنَ الرَّسول وهَدْيه، فانتظروا سُوء العُقبى، وشَرَّ المصير.

دلالَةُ تَعْليقِ الشَّرْطِ بِـ ﴿إِن﴾:

الاِسْتِرْسالُ في إِيثارِ المَحابِّ الدُّنْيَوِيَّةِ على مَحابِّ اللّهِ تعالى صَنيعُ المُنافِقينَ

عُلِّقَ الشَّرْطُ في قول اللّهِ سبحانَه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، بِـ ﴿إِن﴾؛ لِكَوْنِ المخاطَبينَ جماعةَ المؤمنينَ، الذين قَصَّروا في بعضِ ما وجبَ عليهم، أو الذين يُتوقَّعُ منهم التَّقصيرُ، ولذا عُلِّقَ الشَّرْطُ بِحَرْفِ الشَّرط ﴿إِن﴾، المفيدِ الشَّكَّ في وقوعِ مدخولِهِ، ويُفْهَمُ منه أنَّ المسْتَرْسِلَ في ذلك، المُلابِسَ له هو مِنْ أهلِ النِّفاقِ، وهُمُ الذينَ وقعَ عليهم التَّهديدُ في خاتِمَةِ الآيةِ، في قول اللّهِ تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾[2].

نُكْتَةُ تَقْديمِ الآباءِ على الأَبْناءِ:

تعظيمُ الآباءِ في بابِ التَّوْقيرِ والاِحْترامِ، أمرُ اللهِ وشرعُه

قُدِّمَ الآباءُ على الأبناء في قولِ اللّه ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾؛ لِكَوْنِ الآباءِ أشدَّ المذكوراتِ في بابِ التَّوقيرِ[3].

سِرُّ ذِكْرِ الأَبْناءِ في مَوْضِعٍ وعَدَمِ ذِكْرِهِم في المَوْضِعِ قَبْلَه:

ذُكِرَ الأَبْناءُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ دونَ الآيةِ التي قَبْلَها، وهي قولُهُ سبحانَه:

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/152.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/152.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/421.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾؛ وذلكَ لأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ﴾، ذُكِرَتْ فيهِ المحبَّةُ؛ والأَبْناءُ أَعْلَقُ بالنَّفْسِ، بخلافِ الآيةِ الأُخْرَى، فإنَّ الأبْناءَ لَم يُذكَروا فيها؛ لكونِ المقصودِ منها الرَّأْيَ والمشورَةَ[1].

رُقِيُّ البَيانِ القُرآنيِّ، في ذِكْرِ الأَلْفاظِ وحَذْفِها، بِما يُلائِمُ المعاني

نُكْتَةُ ذِكْرِ الأَزْواجِ في مَوْضِعٍ، وعَدَمِ ذِكْرِهِم في مَوْضِعٍ قَبْلَه:

نصّ على الأزواج في قوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ ولَم يُنصَّ على الأزواجِ في الآيةِ المتقدِّمَةِ، وهي قولُهُ ﷻ: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾؛ لِكَوْنِ ذلكَ واردًا في الأولياءِ، وهُمْ أهلُ المشورَةِ والرَّأْيِ، والأزواجُ تَبَعٌ في هذا ولَيْسوا أصْلًا، ثُمَّ إنَّ مولاتَهُمْ غيرُ معتادَةٍ، بخلافِ هذه الآيَةِ ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ﴾؛ فإنَّها واردَةٌ في المحبَّةِ، والأزواجُ لهم مدخَلٌ عظيمٌ فيها[2].

لِلأَزْواجِ مَدْخَلٌ عَظيمٌ في بابِ المَحَبَّةِ الدَّاعيَةِ لِموالاتِهِمْ

بلاغة مُراعاةِ النَّظيرِ:

في قول اللهِ ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ مراعاةُ النَّظيرِ؛ حيثُ جُمِعَ بينَ الآباءِ والأبْناءِ والإخْوانِ، وهُم كُلُّهُم مِنَ القَراباتِ، فالآباءُ أصولٌ، والأبناءُ فروعٌ، والإخْوانُ حَواشٍ، وجميعُهم مِمَّن لَهُمْ في المحَبَّةِ مِقدارٌ عَظيمٌ، على تفاوُتٍ بينَهُمْ فيها.

اشْتِراكُ القَراباتِ في أَصْلِ المَحَبَّةِ، مَعَ التَّفاوُتِ في مِقْدارِها

نُكْتَةُ اخْتيارِ لَفْظِ (العَشيرَةِ):

اخْتيرَ لفظُ العَشيرَةِ دونَ القَبيلَةِ مثلًا، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾؛ لِكَوْنِ العشيرَةِ أَقَلَّ جماعَةٍ مترابِطَةٍ تُوصَفُ، وذلك أنَّ أكبرَ الجَماعاتِ هي

دِقَّةُ اخْتيارِ المُفْرَداتِ المُناسِبَةِ لِلْمَقامِ مِن بلاغةِ البيانِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/391.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/54، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/264.

الشُّعوبُ، ثُمَّ القبائِلُ، ويتفرَّعُ عَنِ القبائِلِ فروعٌ، بعضُها أخصُّ مِن بعضٍ، وآخِر ذلِكَ: العَشيرَةُ، فـ "ليسَ بعدَ العَشيرَةِ جَماعَةٌ تُوصَفُ"[1]، فاختيارُ لفظِ العَشيرَةِ: إشعارٌ بشدَّةِ القُرْبِ الذي لا يَنْبَغي أن يكون محبوبًا حُبًّا أشدَّ مِنَ اللهِ تعالى ورسولِه ﷺ، فغيرُها مِن فُروعِ القبائِلِ البُعْدَى مِنْ بابٍ أَوْلَى وأَحْرَى.

سِرُّ تأْخيرِ ذِكْرِ المالِ:

أُخِّرَ ذِكْرُ المالِ على ذِكْرِ جُمْلَةِ الصِّلاتِ، في قولِه سبحانَه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾؛ لِكَوْنِ الصِّلاتِ المذكورةِ أَوْلَى بالمُراعاةِ، عِنْدَ أهلِ الهِمَمِ العَوالي، مِنَ الأموالِ[2].

الفرق بين صلات القرابة والأموال، كالفرق بين المادَّة والمعنى

دلالَةُ وَصْفِ الأَمْوالِ بالاقتراف:

وُصِفَت الأموالُ بالاقْتِرافِ، وهوَ الاكْتِسابُ، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾؛ للإيماءِ إلى عِزَّتِها في قُلوبِهم؛ لكونِهم قَدْ حصَّلوها بِكَدِّ اليَمينِ وعَرَقِ الجبينِ، وإذا كانَ هذا الضَّرْبُ مِنَ المالِ الحاصِلِ بالجُهْدِ والتَّعَبِ لا يجوزُ أن يُفضَّلَ على محابِّ اللهِ تعالى ورسولِه ﷺ، فغَيْرُهُ مِن أَنْواعِ المالِ الحاصِلِ دونَ ذَلِكَ مِنْ بابٍ أَوْلَى[3].

مكانة الأَمْوالِ في قُلوبِ أَصْحابِها، لا تُوجِبُ إيثارَها على مَحابِّ اللهِ تعالى

دلالَةُ تَنْكيرِ الأَمْوالِ والتِّجارَةِ والمَساكِنِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾، نُكِّرَتِ الأموالُ والتِّجارَةُ والمساكِنُ لبيانِ وصفِها بما يخصِّصها؛ تكثيرًا وتعظيمًا وتفخيمًا لشأنِها، فهيَ أموالٌ كثيرةٌ، وتجارَةٌ عظيمَةٌ، ومساكِنُ فَخْمَةٌ، وكُلُّ ذلكَ موجِبٌ لِلرُّكونِ

مكانة الأَمْوالِ والتِّجاراتِ والمَساكِنِ، مَظِنَّةٌ لِركونِ النُّفوسِ إِلَيْها ومَحَبَّتِها

(1) العسكريّ، التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص: 104 - 105.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/421.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/54، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/265.

إليها ومحبَّتِها، إلَّا أنَّه لا يَنْبَغي أن تُقدَّم هذهِ المحْبوباتِ على مَراضي اللهِ ورَسولِه ﷺ.

دلالَةُ الأَوْصافِ للأموال والتِّجارة والمساكن:

لا يَنْبَغي أَنْ تَطْغَى الأُمورُ الدُّنْيَويَّةُ بما فيها مِنْ مغريات على المؤمن

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾، وُصِفَت كُلٌّ مِنَ الأموالِ والتِّجارَةِ والمساكِنِ بالأوصافِ المذكورةِ؛ فالأموال وُصِفت بالاقتراف، وهو الاكتساب، وذلك "إيماءٌ إلى عزَّتها عندهم، لحصولها بكدِّ اليمين، والتِّجارة وُصِفت بالخشية على كسادها؛ لتعلُّقها بتقلُّبات السُّوق، والرَّواج والكَسَاد، والمساكنُ وُصِفت بأنَّها مرضيَّة؛ لأنَّ بناءها وحيازتها كانت بغرض الاطمئنان فيها، والرِّضى عنها، إذا كانت مُحقِّقَة للغاية، مُوفيَة بالغرض[1]، وذلك للإعْلام بأنَّ اللَّوْمَ على محبَّتِها ليسَ لتناسي ما تشْتَمِلُ عليهِ مِن مبادئِ المحبَّةِ، ومقتضَياتِ الرَّغبَةِ فيها، وإنَّما للتَّنبيه على أنَّ ما فيها مِن ضُروبِ المحاسنِ وموجباتِ المحبَّةِ، لا يجوزُ أن يَطْغَى على العَبْدِ، فتغلِبَ محبَّتُها على محابِّ اللهِ سبحانَه ورسولِه[2] ﷺ.

بَراعَةُ التَّرْتيبِ والتَّرقِّي في المعاني:

تَحْصيلُ المَساكِنِ الفارِهَةِ، هوَ غايَةُ أَسْبابِ الِاسْتِرْواحِ والتَّجَمُّلِ

جاءَ التَّرتيبُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾، في غايَةِ البَراعَةِ؛ حيثُ صُدِّرَ بالآباءِ لكونِهِمْ أشدَّ المذكورينَ في بابِ التَّوقيرِ، ولأنَّ الواجبَ برُّهُم وإكرامُهُم وحبُّهُمْ، وثُنِّيَ بالأبناءِ؛ لكونِهم أَعْلقَ بالقلوبِ، ثُمَّ ثُلِّثَ بالإخوانِ؛ لأنَّه بَعْدَ اسْتيفاءِ طَرَفَي النَّسَبِ بذِكْرِ الأصولِ والفروعِ؛ ناسَبَ أن يُذْكَرَ الحواشي، وأقْرَبُهُم: الإخوةُ، ثُمَّ ذُكِرَ الأَزْواجُ، وهُنَّ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/54 (بتصرُّف).
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/54 - 55.

في الحُبِّ والإيثارِ بِمَنْزِلَةِ الأَبْناءِ، ثُمَّ ذُكِرت العَشيرَةُ، وهي جامِعَةٌ للذُّكورِ والإناثِ، وهي أَبْعَدُ في القرابَةِ مِنَ المذكوراتِ قَبْلُ، ولـمَّا ذَكَر اللّهُ سبحانَه هذه القراباتِ؛ أتبعَهُ بذِكْرِ المالِ الحاصِلِ في اليَدِ؛ لأنَّ المخالَطَةَ المتقدِّمَةَ تُوصِلُ إلى إبقاءِ هذا الضَّرْبِ مِنَ الأموالِ، وأعقبَهُ بذِكْرِ صِنْفٍ آخرَ مِنَ الأَمْوالِ، وهي الأموالُ غيرُ الحاصِلَةِ، وإنَّما التي يُتَوقَّعُ رِبْحُها بالتِّجارَةِ، وخُتِمَ ذلكَ بذِكْرِ المَساكِنِ؛ وهي الغايَةُ؛ لكونِ ما تقدَّمَ مِنْ أَسْبابِ الاسْتِرْواحِ فيهِ والتَّجمُّلِ بهِ[1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ التَّفْضيلِ ﴿أَحَبَّ﴾:

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، أفادَ اسْمُ التَّفضيلِ: ﴿أَحَبَّ﴾، مِنْ أنَّه إذا حصلَ تعارُضٌ بينَ مرادِ اللّهِ تعالى، وما تَجُرُّ إليهِ العلائِقُ المذكورَةُ قَبْلُ في الآيَةِ؛ فالواجِبُ على أهلِ الإيمانِ قطْعُ هذه العلائِقِ، وإرضاءُ اللّهِ سبحانَه، ووَجْهُ إفادَةِ اسْمِ التَّفضيلِ ﴿أَحَبَّ﴾ هذا المعنى: أنَّ اسْمَ التَّفضيلِ في المحبَّةِ يقْتَضي إرضاءَ أَقْوَى المحبوبَينَ، فكان التَّعبيرُ بهِ تحذيرًا مِنَ التَّساهُلِ في واجباتِ الدِّيانَةِ أوِ التَّهاوُنِ بها، مع الكِنايَةِ عن جعْلِ ذلك التَّساهُلِ والتَّهاوُنِ مسبَّبًا عن تَقْديمِ محبَّةِ تلكَ العلائِقِ على محبَّةِ اللّهِ سبحانَه[2].

التَّحْذيرُ مِنَ التَّساهُلِ في واجباتِ الدِّيانَةِ أوِ التَّهاوُنِ بِها

نُكْتَةُ تَعْليقِ الوَعيدِ على تَفْضيلِ المَحَبَّةِ:

عُلِّقَ الوعيدُ والتَّهديدُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، على تَفْضيلِ المحبَّةِ دونَ المساواةِ فيها، مع أنَّ تعليقَ الوعيدِ على المُساواةِ قَد يكونُ أَبْلَغَ في الرَّدْعِ؛ لاقتضائِهِ الوعيدَ على التَّفضيلِ، بطريقِ الأَوْلَى والأجدر،

لا تستوي مَحَبَّةُ اللّهِ ورسولِه ﷺ، مع مَحَبَّةِ غَيْرِهِما

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/18، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 5/391، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/422.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/153.

وذلك لأنَّ محبَّةَ اللهِ سُبحانَهُ، ليسَ بينَها وبينَ محبَّةِ غيرِهِ مساواةٌ أصلًا، بخلافِ مَن سواهُ، فقد تَستَوي المحبَّةُ فيهِ، أمَّا في هذا المقامَ فلا تُتَصَوَّرُ المُساواةُ أصلًا؛ وذلك لأنَّ العَبْدَ إذا رجَّحَ الجهادَ، فقد رَجَحَت محبَّتُهُ للّه تعالى على محبَّةِ غيرِهِ، وإن رَكَنَ إلى القعودِ وتَرْكِ الصَّلاةِ؛ فقد رَجَحَت محبَّتُهُ غيرَ اللّه تعالى[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالِاسْمِ الأَحسن ﴿ٱللَّهِ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالاسْمِ الأَحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ لزيادَةِ المهابَةِ، وبيانِ عِظَمِ جُرْمِ تقديمِ العلائقِ الدُّنيويَّةِ على محبَّةِ اللهِ سبحانَه؛ إذْ كَيْفَ يجرُؤُ أحدٌ على تقْديمِ محبَّةِ أمرٍ ما، على محبَّةِ اللهِ سبحانَهُ، الجامعِ لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، وهو المُنْعِمُ بتِلْكَ المحابِّ الدُّنيويَّةِ على الحقيقةِ؟![2].

شَناعَةُ تَقْديمِ العَلائقِ الدُّنْيَويَّةِ، على مَحَبَّةِ اللهِ العُلْويَّة

نُكْتَةُ الإضافَةِ في ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾:

أُضيفَ الرَّسولُ ﷺ، إلى الضَّميرِ العائدِ على اللهِ سبحانَه، في قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ لإرادَةِ التَّعظيمِ والتَّفخيمِ والتَّشريفِ، وهذهِ الأغراضُ راجِعَةٌ إلى المضافِ، لا إلى المضافِ إليهِ، وفي ذلك إدخالُ المهابَةِ على النُّفوسِ، وإيماءٌ إلى شناعَةِ مخالفَةِ محابِّهِ ﷺ.

عِظَمُ جُرْمِ مُخالفَةِ مَحابِّ النَّبيِّ الأُسْوةِ ﷺ، ومخالفةِ سنَّته وهَدْيه

دلالَةُ الإيجازِ بالحذف:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إيجازٌ بالحذْفِ، والتَّقديرُ: أحبَّ إليكُم مِن امتثالِ أوامرِ اللهِ سبحانَه، وأوامرِ رسولِهِ ﷺ، في تَرْكِ دارِ الكُفْرِ إلى دارِ الإسْلامِ[3]، وفي هذا الإيجازِ تفخيمٌ لهذا الأمْرِ، وتعظيمٌ

مَحَبَّةُ امْتِثالِ أوامِرِ اللهِ سبحانَه، مَحَبَّةٌ لله ﷻ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/299.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/422.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 5/391 - 392.

لشأنِه، حيثُ جُعِلَتْ محبَّةُ امتثالِ أمرِ اللهِ تعالى محبَّةً للّه سبحانَه؛ ليكونَ ذلك أبْلَغَ في إدخالِ المهابَةِ على قلوبِ المُتَلقِّينَ لِلْخِطابِ.

بَراعَةُ الإطْنابِ:

التَّنْويهُ بِشَأْنِ مقاومي المعتدين، وما فيه من تضحيةٍ ونُبل

في تَخْصيص الجهادِ في سبيل اللّه تعالى - على القول بتقديرِ محذوفٍ - بالذِّكْرِ، مِن جُملَةِ ما يُحبُّه اللّهُ ﷻ مِنْهُمْ في قولِه: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾؛ تنويهٌ بشأنِ الجهادِ، وتفخيمٌ لأمْرِهِ، وذلك لأنَّ ما فيه مِنَ المخاطِرِ على النَّفْسِ، ومِن إنفاقِ المالِ، ومفارَقَةِ المحبوباتِ، مظِنَّةٌ للقُعودِ عنه، خصوصًا وأنَّ هذه الآياتِ نزلَتْ عَقيبَ غَزْوَةِ تَبوكَ، التي تخلَّف عنها المنافقونَ، وبعضُ أهلِ الإسلامِ[1].

نُكْتَةُ الإضافَةِ في المركَّبِ الإضافيِّ ﴿سَبِيلِهِۦ﴾:

سُلوكُ سَبيلِ اللهِ تعالى موصِلٌ إلى رَحْمَتِهِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾، جاءت إضافةُ السَّبيلِ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ لِقَصْدِ تَعْظيمِ السَّبيلِ وتَفْخيمِه، والإعلامِ بأنَّ مَن سلَكَهُ فَقَدْ وصَلَ إلى رَحْمَةِ اللّه سبحانَه، ولازِمُ ذلك: تعظيمُ المُجاهدينَ السَّالكينَ هذا السَّبيلَ، المُؤْثِرينَ إيَّاهُ على سائرِ المَلاذِّ الدُّنيَويَّة.

سِرُّ ذِكْرِ النَّفيرِ مع مَحَبَّةِ اللهِ ورَسولِهِ ﷺ:

مَحَبَّةُ المنافحةِ عن دين الله، راجِعةٌ إلى مَحَبَّةِ اللهِ تعالى، ومحبَّةِ رَسولِهِ ﷺ

قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾، يَجوزُ أن يكونَ باقيًا على دلالَتِهِ الظَّاهرَةِ في عدمِ تقديرِ محذوفٍ، ويكونُ ذِكْرُ الجهادِ مع حُبِّ اللّهِ تعالى ورسولِه ﷺ؛ لتفخيمِ أَمْرِهِ، والإيماءِ إلى أنَّه يجبُ أَنْ يُحبَّ، وأنَّ محبَّتَهُ تَرجِعُ إلى محبَّتِهما؛ وذلك لأنَّ الجهادَ عبارةٌ عَن قِتالِ أعدائِهما؛ لأجلِ عداوَتِهِمْ لَهُما، فمَنْ أحبَّهُما فإنَّه يجبُ أن يُقاتِلَ مَن ينْصِبُ لَهُما العداء[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/153.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/55.

دلالَةُ الأَمْرِ في قولِه: ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾:

فِعْلُ الأمْرِ ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾، لا يُرادُ بهِ حقيقَتُهُ مِن قَصْدِ الإلْزامِ والوجوبِ، وإنَّما هو خارِجٌ عن أصلِهِ، إلى معنى التَّهديدِ والتَّخويفِ[1]، والقَرينَةُ الصّارِفَة عنِ الإلْزامِ والوُجوبِ: ظُهور أَنْ ليس المُرادُ طَلَبَ انْتِظارِهِم العذابَ؛ والعَلاقَةُ بين المعنى الحَقيقيِّ والتَّهْديدِ هي التَّضادُّ، وذلك لأنَّ الأصل في المَأْمورِ به أن يَتَحَتَّم فِعْلُهُ، وأمَّا المُهَدَّدُ عليه فهو الممنوعُ فِعْلُهُ[2].

تَهْديدُ مَن يُؤْثِرُ المَحابَّ الدُّنْيَويَّةَ، على مَراضي اللهِ الشَّرعيَّة

دلالَةُ تَعْريفِ المُسْنَدِ إليه بِالْعَلَميَّةِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

عُرِّفَ المسنَدُ إليه بالعلميَّةِ ﴿ٱللَّهُ﴾، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾، لزيادَةِ إدخالِ المهابَةِ في القُلوبِ، ترهيبًا وتخويفًا من عذابِ اللهِ ﷻ وعقابِهِ؛ إذ هو عقابُ اللهِ سبحانَه الذي جمعَ صفاتِ الجلالِ والكمالِ، ولا يصدُرُ مِنَ العظيمِ إلَّا عَظيمٌ.

إدْخالُ المَهابَةِ في القُلوبِ، تَخْويفًا مِنْ عَذابِ اللهِ الشَّديد

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالْأَمْرِ:

جاءَ التَّعبيرُ بالأمْرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾، دونَ العذابِ ونحوِهِ؛ لكَوْنِ لفظِ الأَمْرِ مُبْهَمًا، يُرادُ به الشَّيْءُ والشَّأْنُ، فكان في ذلك صلاحيَّةٌ لِقَصْدِ التَّهويلِ؛ لتذهَبَ نفوسُ المُهَدَّدين كُلَّ مذهَبٍ، في تصوُّرِ ما هُدِّدوا بِهِ، فيَهْجُم على أذهانِهِم إرادَةُ العذابِ أو القتْلِ أو نحوِهما مِنَ المُخَوِّفاتِ، فهوَ أمرٌ لا تبْلُغُه أوصافُ المهدَّدينَ ولا تحْتَمِلُهُ قواهُم[3].

الإبْهامُ في التَّهْديدِ أَدْخَلُ في التَّهْويلِ مِنْ تَعْيينِهِ

بَراعَةُ الإيجازِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ إيجازٌ، والتَّقديرُ: فتربَّصوا حتَّى يأتيَ اللهُ بأمْرِهِ، فيُصيبَكُم بقارعَةٍ لا

مُصادَمَةُ الهِدايَةِ ومُنابَذَتُها، مُفْضِيةٌ إلى أعْظَمِ العَذابِ وأشَدِّهِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/422، والخازن، لباب التَّأويل: 2/344.
(2) عبد الله المعزبيُّ اليمانيّ، تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنَّهي والاستفهام، ص: 56 - 57.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/422، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/154.

تُطيقونَها، أو عذابٍ لا تهتدون إلى دَفْعِهِ وصَدِّهِ؛ لكونِكُم قد اخترْتُمْ لأنفُسِكُم مصادَمَةَ الهدايةِ ومنابَذَتَها[1].

بَلاغَةُ وضْعِ المُظْهَرِ في مَوْضِعِ المُضْمَرِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، إظهارٌ في محلِّ الإضْمارِ، وذلك لأنَّ مقتضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وهو لا يَهْدي القومَ الفاسقين)؛ لتقدُّمِ ذِكْرِ الاسم الأعظم ﴿وَٱللَّهُ﴾، في قوله سبحانَه: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾، ونُكْتَةُ الإظْهارِ: تعظيمُ شأْنِ هذه العقوبَةِ، وهو عَدَمُ هدايةِ الفاسقين؛ لكَوْنِها صادرةً عمَّن جمعَ صفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، وفي الإظْهارِ نُكْتَةٌ أُخْرَى، وهي أن تخرُجَ الجملَةُ مَخْرَجَ التَّذْييلِ الجاري مجْرَى المثَلِ.

مِنْ أَعْظَمِ الحرمان، عَدَمُ تَحْصيلِ الهَدايَةِ مِنَ الدَّيَّان

دلالَةُ مَجيءِ المُسْنَدِ فِعْلًا مُضارِعًا:

جيءَ بالمُسْنَدِ ﴿يَهۡدِي﴾ فِعْلًا مضارِعًا، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، لإرادَةِ التَّجدُّدِ والاستِمْرارِ، فما داموا مُقيمين على فِسْقِهم فإنَّ اللهَ ﷻ لا يَهْديهم، وجيءَ به مؤخَّرًا لقصْدِ التَّأكيدِ، وذلك لما في تأخيره مِن تَكْرارِ النِّسْبَةِ، ووَجْهُ ذلكَ: أنَّ فِعْلَ الهدايَةِ أُسْنِدَ إلى الاسمِ الأحسَنِ (اللهِ)، وأُسْنِدَ أيضًا إلى الضَّميرِ المسْتَتِرِ فيه، الرَّاجعِ إلى اللهِ سبحانَه، وفي هذا تقويَةٌ للإسْنادِ، وتأكيدٌ لمضمونِ هذه الجُمْلَةِ المشتملَةِ على هذا التَّهديدِ العظيمِ، وزادَها قوَّةً إيرادُ الجملةِ اسميَّةً، فإنَّ الجملَةَ الاسميَّةَ آكَدُ مِنَ الجملةِ الفعليَّةِ.

الإقامَةُ على الفِسْقِ والاسْتِمْرارُ فيهِ، مُقْتَضٍ عَدَمَ اسْتِحْقاقِ الهِدايَةِ الرَّبّانيَّةِ

دلالَةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾:

اللَّامُ في ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، دالَّةٌ على الكَمالِ، والمعنى: واللهُ لا يَهْدي القومَ الكاملينَ في الفِسْقِ، المُسْتَمِرِّينَ عليه، لا أَرَبَ لَهُمْ في معرفَةِ الحقِّ واتِّباعِهِ.

تَرْكُ التَّعَرُّفِ على الحَقِّ، والمروقُ مِنَ الالتزام به فسقٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/422.

بَلاغَةُ التَّذْييلِ:

قولُ اللّهِ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، تذييلٌ جارٍ مَجْرَى المَثَلِ؛ لاستقلالِهِ بالإفادَةِ، وعَدَمِ افتقارِهِ إلى ما قَبْلَهُ في فَهْمِ تمامِ المرادِ مِنْهُ، والغرضُ مِنْ جملَةِ التَّذْييلِ: زيادَةُ التَّهديدِ بعدَ التَّهديدِ السَّابقِ في قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾، وفي جملةِ التَّذْييلِ تعريضٌ بِمَنْ آثرَ محبَّةَ القراباتِ والأموالِ، على محبَّةِ اللّهِ تعالى ورسولِهِ ﷺ بأنَّهُمْ مِن جُملَةِ الفاسقين[1].

مِنَ الفِسْقِ: إيثارُ مَحَبَّةِ الأَمْوالِ والقَرابَاتِ، على مَحَبَّةِ ربِّ الكائنات

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/154.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»